

البناء

بين الضغط الاقتصادي والاجتماعي... وخطر المعركة المقبلة في الجرد

عرسال تنتفض في وجه الإرهاب وتعود إلى حضن الدولة

تحقيق: محمد حمية

مع بداية الأزمة السورية عام 2011، برزت بلدة عرسال البقاعية كإحدى أهم بؤر التوتر الأمني على الحدود اللبنانية - السورية، إضافة إلى تحولها من قبل قوى محلية وإقليمية، إلى حاضنة للإرهابيين وقاعدة خلفية لهم للانطلاق بهجمات عسكرية ضد النظام في سورية، وضد مناطق لبنانية. كما تحتضن مخبأ للنازحين السوريين يضمّ ثمانين ألفاً، من بينهم بعض عائلات المسلحين الذي يشكلون بحسب أهالي البلدة قبيلة موقوتة ستتفجر في أي وقت.

على رغم أن هذا الوضع خلف الكثير من الآثار السلبية على مختلف مناطق البقاع ولبنان عموماً، إلا أن أهالي عرسال هم الذين دفعوا الثمن الأكبر من حيوات أبنائهم، وأمنهم وأرزاقهم وممتلكاتهم ولقمة عيشهم، حتى صوّرت بلدتهم وكأنها خارجة عن سيادة الدولة، وهي التي قدمت عدداً من الشهداء في الجيش، وصارت رهينة في يد المسلحين السوريين، ما دفعها مؤخراً إلى الانتفاضة على من تعاملت معهم كضيوف، ودفعت من أجلم ثمناً باهظاً في علاقاتها مع الجوار.

فما حقيقة الوضع في البلدة، وهل فعلاً رة فعل الأهالي الأخير على النازحين هو بداية انتفاضة عرسالية؟ وهل تتطوّر إلى اشتباك مسلح؟ وكيف هي علاقة أهالي البلدة مع القرى المجاورة؟ وهل تتكرر أحداث الصيف الماضي؟ وهل يستطيع الجيش بقدرة الحالية صدّ أي عدوان جديد؟

الموقع الجغرافي والدور المزدرج

تقع بلدة عرسال في حضن سلسلة جبال لبنان الشرقية، وتبعد عن مدينة بعلبك حوالي 38 كيلومتراً، وتتشكّر مع سورية بخط حدودي طوله 50 كيلومتراً، ويصل عدد سكانها إلى 40 ألف نسمة.

هذا الموقع الجغرافي لعرسال ساهم في عبور المسلحين والسيارات المفخخة من سورية إلى لبنان، كما عبور المسلحين من لبنان إلى سورية، وأصبحت محطة لجوء للسوريين الذين تدفّق معظمهم من منطقة القلمون بعد تهجيرهم على إثر معارك حمص وبيروود. كما أدّت المعارك العسكرية في سورية، لا سيما في القلمون إلى خروج المسلحين من بين اللاجئين السوريين ومن المستشفيات الميدانية، واللجوء إلى الجرد المحيط بالبلدة، ذي المساحات الشاسعة والمفروح لمرصد أي حركة لجيوش نظامية سورية كانت أم لبنانية.

في الأول من آب من عام 2014، شدّت الجمعيات الإرهابية التي كانت منحصنة في داخل عرسال هجوماً على مراكز الجيش وقوى الأمن الداخلي بعد توقيف الجيش المطلوب عماد أحمد مكي الذي ينتمي إلى «جبهة النصرة». ودارت اشتباكات عنيفة، ما أدّى إلى استشهاد عدد من ضباط الجيش وجنوده، وحُفظ 36 عسكرياً خلال انسحاب المسلحين إلى الجرد، بينهم 19 من الجيش و17 من قوى الأمن الداخلي، ولا يزالون محتجزين حتى الآن ليتحوّل هذا الملف إلى ورقة ضغط في يد المسلحين على الدولة اللبنانية، تهبّدهم أمن لبنان واستقراره.

بعد هذه الأحداث، شهدت عرسال أحداثاً أمنية دائمة، ومواجهات بين المسلحين والجيش الذي أقبل محاولات تسلل عدة إلى داخل البلدة. كما عاشت توتراً وحظفاً وحظفاً مضاداً بين عرسال والمناطق المحيطة، لا سيما بلدة اللبوة المجاورة. كما تعرّض خراج البلدة إلى غارات من الطائرات السورية أثناء ملاحقتها المسلحين على الحدود.

مواجهة من نوع آخر

في الأونة الأخيرة، شهدت البلدة نوعاً آخر من العواجة لم تعرفها من قبل، بين أهالي البلدة والنازحين السوريين أشبه بالانتفاضة. إذ تحدّثت معلومات عن تحول المخيم إلى ملاذ لخطايا إرهابية ومجموعات مسلحة منشرة في أعالي الجرد، تستفيد لوجستياً من هذا المخيم الجردي الذي يصاب بشكل رهّة لها، تنتفض من خلالها، وكثيراً ما يتسرب إليها جزء من الإمدادات التي ترسلها الدولة والمنظمات الإنسانية إلى النازحين لاعتبارات إنسانية. في الـ30 من آذار، أقدم مسلحون مجهولون على خطف المواطن حسين سيف الدين من بلدة عرسال، وفرّوا به باتجاه جردو البلدة. ما دفع عدد من أهالي البلدة إلى خطف 23 سورياً من بلدة «قارة» السورية رداً على خطف سيف الدين، وأهلوا خاطفيه ساعات للإفراج عنهم. إلا أن عمل الوسطاء نجح في الإفراج عن سيف الدين والمخطوفين السوريين وجنوايا البلدة مواجهة حتمية.

عرسال تتنّ اقتصادياً

رئيس بلدية عرسال علي الحجيري قلّل في حديثه لـ«البناء» من خطورة الوضع الأمني في عرسال. معتبراً أن الوضع الأمني مضبوط حالياً، وأن المسلحين متواجدون على مسافة بعيدة من البلدة لا في داخلها. إذا تبعد نقطة تواجدهم عن مواقع الجيش في عرسال ثلاثة كليومترات. مشيراً إلى أن مخيم النازحين السوريين فيه عدد قليل من المسلحين.

وأكد الحجيري أن «الجرود مفتوحة من عنجر إلى عرسال وهي تحتاج إلى جوش لتخطيتها ولا يستطيع الجيش اللبناني وجودها». فالجيش يحاول حماية البلدة لكن هناك بعض الفجرات

التي يمكن أن يستغلها المسلحون للعبث بالأمن،

لكن أهالي عرسال يحملون السلاح ويساعدون الجيش في حماية بلدتهم». ولفت الحجيري إلى التواجد الكثيف للنازحين السوريين الذين يقدر عددهم بـ90 ألف نازح، بعدما كانوا يشكلون أكثر من 135 ألفاً مسجلين في قوائم رسمية في البلدية، مشيراً إلى أن البلدية تعمل على تسهيل أوضاعهم وأمورهم.

الحجيري تحدّث عن معاناة أصحاب المصالح، خصوصاً مقالع الحجر، والتي تشكل مورد رزقٍ أساسي للعرسلة، نافيًا حصول مشاكل مع القرى المحيطة بعرسال. وعلى رغم تأكيد الحجيري أن عرسال «خارج الحصار»، عاد وأكد أن الحل في عرسال مرتبط بالوضع العام في لبنان.

وعن الحلول المقترحة لتواجد هذا الكمّ من النازحين، لفت الحجيري إلى أنهم طلبوا من الدولة ووزارة الشؤون الاجتماعية إنشاء مخيمات خارج عرسال على غرار الأردن وتركيا. أما الردّ فكان «وقف الحجيري». يتهرون على ذلك.

الحجيري عرّا الحصار المفروض على أراضي البلدة الزراعية لأسباب أمنية من الجيش، وأمل فك هذا الحصار قريباً.

مصادر عسكرية بقاعية تحدثت لـ«البناء» عن نفور شديد لدى أهالي البقاع عموماً والبقاع الأوسط خصوصاً من النازحين السوريين، لا سيما بسبب تأثير اليد العاملة السورية على اللبنانية، مؤكدة احتمال عودة التوتر بين النازحين السوريين وأهالي عرسال، مشيرة إلى وجود عدد كبير من المسلحين داخل مخيم عرسال في حين يعمل الجيش على تخفيف الجبهة الداخلية لكبح جماح تحرك الخلايا النائمة.

يشدون الدولة، فهي لطالما كانت ولا تزال إلى جانب الشرعية والجيش والقوى الأمنية. مطالبا الدولة أن تكون عادلة من ناحية عرسال.

المختار الحجيري

مختار عرسال محمد الحجيري أكد لـ«البناء» أنّ الوضع العام في عرسال ليس كما يصوّره البعض «قدهاراً». ومع طمأنته بأن الوضع الأمني الأشخاص ومع عناصر من «داعش»، حيث قطع الأخير رأسه، ما تطوّر إلى بلبله وانتهدا!

المختار الحجيري أشار إلى خفق أصحاب المصالح (المقالع) التي تشغّل نحو ٢5 آلاف عامل، فضلاً عن الكليات والشاحنات والجرافات. واليوم لم تعد هذه المصالح تشكل أكثر من 5 في المئة من اليد العاملة، كما أن المزارعين منعوا من الوصول إلى أراضيهم من قبل الجيش لأسباب أمنية، ما سبب بطالة وصلت إلى 95 في المئة، مشيراً إلى أنّ هذا التصيق أضاف عليهم معاناة وأزمة.

وقال: «عرسال استقبلت نحو 150 ألف نازح، لا يمكن لهؤلاء أن يتبرّكوا أعباء مكافأة على ما قدّمه العرسلة لهم، على رغم تشكّتهم السياسي واللامبالاة وعدم المسؤولية». ولفت الحجيري إلى أنه عندما دخل «داعش» إلى جردو عرسال، ضيقوا على أبناء عرسال، وزاد ذلك دخول نحو 300 مسلح من «الجيش الحر» إلى المخيمات، إذ عادوا واندمج بعضهم مع «النصرة» و«داعش»، ومن بقي التحق ب«الحر» في مناطق القلمون.

الحجيري ادّعى أنّ مشكلة العرسلة، «تكمّن في تواجد حزب الله الذي يشكل خطفاً لوصولهم إلى أراضيهم، والناس متخوّفون من استمرار هذا الخناق الذي أرخى إحباطاً وقلقاً»، مشيراً إلى أن مواقع حزب الله لا تبعد عن مواقع «النصرة» أكثر من 700 متر، وعن «داعش» ثلاثة كيلومترات. وقال المختار الحجيري أنه قبل «الثورة السورية» كانت عرسال مزدهرة، لكنها اليوم معدومة والبطالة تفتشت.

مخيم النازحين...

معلومات متضاربة

الظروف الإنسانية الصعبة التي يعانيها النازحون السوريون في مخيم عرسال نتيجة موجات الصقيع التي مرّت، ونقص المؤن والطبابة، لا سيما بعدما أعلن برنامج الأغذية العالمي التابع للأمم المتحدة توقيف مساعداته لهم إضافة إلى وجود المسلحين، كل ذلك حوّل المخيم إلى ماساة إنسانية وقبيلة أمنية موقوتة، إذ تنقل مصادر بقاعية لـ«البناء» أن الوضع الاجتماعي للنازحين في عرسال جيد ويتلقون مساعدات من أكثر من مصدر كالأمم المتحدة وجمعيات إغاثة دولية ومن الجيش اللبناني. فالمواطنون العاديون يعانون من نقص المازوت، بينما كل شخص من النازحين يحظى بغالوتين أسبوعياً.

وأكدت المصادر وجود مسلحين في المخيم، وأن الاجهزة الأمنية تمنع من الدخول إلى المخيم. والمسلحون يتسللون من الجهة الشمالية الشرقية للمخيم الذي يؤدي إلى جردو عرسال. وتؤكد المصادر أن المسلحين السوريين انقلبوا

البناء

بين الضغط الاقتصادي والاجتماعي... وخطر المعركة المقبلة في الجرد

عرسال تنتفض في وجه الإرهاب وتعود إلى حضن الدولة



ولا يستبعد الحجيري أن تتصاعد الأمور في أي وقت إلى اشتباك مسلح بين العرسالية والنازحين بسبب ممارسات هؤلاء، الذين يعتمدون شكلاً من أشكال الحكم الشرعي. فهم لديهم المحاكم الشرعية ويطبّقون قوانينهم ويعدمون من شأؤوا. لذلك الوضع الأمني لا يطمئن وغير مستقر، وما حصل في عرسال مؤخراً بداية انتفاضة عرسالية، فالجيش غير موجود في قلب عرسال، ولايَ قوة أمنية أخرى، بل يقيم سورا حولها فقط.

وفي هذا السياق، يتحدّث الخبير الاستراتيجي العميد الدكتور هشام جابر لـ«البناء» حول احتمالات المواجهة المقبلة، فأكد أنه لا بدّ أن تقوم المجموعات المسلحة بعمل عسكري في أي وقت وفي أيّ ظروف مناخية. لأن هذه المجموعات تتبّع تكتيك حرب العصابات، وهي تستفيد من رداءة الطقس أحياناً. لكن الجيش

في الوضع الحالي يعرّز مواقعه في عرسال ومحيطها وفي رأس بعلبك، لا سيما في المناطق التي تعتبر رخوة وهي في البقاع الشمالي من رأس بعلبك إلى القاع، فهناك قرى شيعية وهناك قرى سنّية وثمة قرى مسيحية. والمجموعات المسلحة تعتبر بعض القرى المسيحية والسنّية رخوة أكثر من القرى الشيعية، والسبب أن سكان القرى الشيعية من العشائر، وجميعهم مسلحون بطبيعتهم، والسبب الثاني أن حزب الله يساندهم، ومحاولات التسلل إلى هذه القرى شملت سابقاً عملية بريتل، لذلك تنظر المجموعات المسلحة يومية إلى الوضع الميداني للنفاذ من أي ثغرة للانتفاض على إحدى القرى. لكنه استبعد تكرار أحداث بلدة الصيف الماضي، أولاً لأن الجيش عزّز مواقعه في المنطقة، وثانياً لأن عرسال لم تعد بيئة حاضنة للإرهابيين.

وأضاف العميد جابر: «التوتر الذي يحصل داخل البلدة سببه أن أهالي عرسال ضاقوا ذرعاً من المجموعات المسلحة، لأن عرسال بلدة لبنانية قدمت للجيش مئات الشهداء، لكن بعض المجموعات المسلحة استطاعت بمساعدة بعض النافذين في البلدة، ممّن لديهم مصالح معينة، ودخلت إليها، ولو لم يقنّدها الجيش لكادت الآن عاصمة لامارة محتلة».

وقال جابر أنّ الجيش يعرف أن هناك عناصر مسلحين مندسين في المخيم، ويعرف أن عائلات أهالي الخاطفين موجودون أيضاً في المخيم، لكن الجيش لا تعرّض لهم للضغط على المسلحين. وهذه نقطة حضارية تسجّل للجيش، وعادة في دول أخرى، لكان الجيش داهم المخيم واعتقل كل هؤلاء العناصر. وأوضح أنّ المجموعات المسلحة الآن معظمها خارج المخيم باستثناء بعض المسلحين، إنما لا يهددون البلدة، لأنّ أهالي عرسال يساعدون الجيش في حماية بلدتهم والدفاع عنها، كما أن الجيش سيطر مؤخراً على التلال الاستراتيجية حيث حقق هدفين: الأول منع الإمداد اللوجستي من ذخيرة ومحروقات وعتاد ومؤن للمسلحين، وثانياً منع تقدّمهم في اتجاه عرسال.

وأكد أنّ المخيم وضعه هناك ولا يسبب الإحراج للدولة، لا سيما أن هناك تواصل بين المجموعات المسلحة والنازحين في المخيم يشاهدها أهالي عرسال تدل على أنهم ليسوا من عرسال بل من سورية، وربما من دول عربية وإسلامية أخرى.

الذي عزّ الدين وسيف الدين الذين أووهم بداية الأزمة.

رئيس بلدية اللبوة رامز أمهر أكد لـ«البناء» وجود مئة عائلة سورية نازحة في بلدة اللبوة، ويسكنون بين منازل البلدة ويعاملون معاملة حسنة، ولكن كحال أهالي اللبوة يعانون من أوضاع اجتماعية وإنسانية صعبة، كما يشكلون ضغطاً اقتصادياً على المنطقة.

وأوضح أمهر أنه بعد الوضع المتوتر بين عرسال واللبوة في المرحلة السابقة حصل نوع من الجفاء بين البلديتين. وحصلت أحداث أمنية، ولكننا لم نشمل كل أهالي عرسال، بل قسمًا منهم، ونحن طالبناهم مراراً وتكراراً بأن يتخذوا مبادرات ويتعاونوا مع الدولة والجهزة ضد الإرهابيين، لكننا لم ولن نتخلّى عن أهالي عرسال، ولو عبث البعض منهم بأمن البلديتين».

وأضاف: «أما الآن، ففردى أن الحس الوطني الإصيل يعود إلى عرسال وأهاليها لأن عرسال في مرحلة معينة شكلت بيئة حاضنة للنازحين من نحو إنساني ولكن بعض الأشخاص استغلوا الوضع لمآرب شخصية. كما ان بعض النازحين اليوم عملوا على التخريب في المنطقة، لكن أهالي عرسال انتفضوا وتصوّوا لهم بالتعاون مع الدولة».

وأكد أمهر وجود ثمانين ألف نازح سوري في مخيم عرسال، وأن بعض المسلحين يتواجدون في المخيم فهم يصعدون في النهار إلى الجرد وفي الليل يتسللون إليه. لكن في الفترة الأخيرة، ضقت إجراءات الجيش والجهزة - بمساعدة أهالي عرسال - الخناق عليهم وقلصت حريتهم في الحركة والتنقل، تهيّدا لإنهاء هذه الظاهرة.

وعبّر أمهر عن مخاوفه من صدام مسلح مقبل بين المسلحين وأهالي عرسال في حال استمر أهالي عرسال بالتصبيح على العائنين بالأمن من النازحين وبالتعاون مع الدولة، مؤكداً أن أهالي عرسال أقوياء وقادرون على الدفاع عن أنفسهم.

أين «أبو طاقية»؟

ولفت أمهر إلى أن أهالي عرسال كشفوا حقيقة الشيخ مصطفى الحجيري «أبو طاقية» الذي كان رأس الحربة لما حصل من أحداث أمنية، وهو أمير «جبهة النصرة» الذي كان يضلّل الناس، والإهالي يدركون ذلك. مؤكداً أن الحجيري موجود الآن في عرسال لأن لا تواجد للجيش في داخل البلدة بل هو يلوّط عرسال من جميع الجهات ويدخلها بحالات أمنية، ولا يسيطر عليها من الداخل لأن ذلك يحتاج إلى قرار سياسي.

وشدّد على أن أحداث الصيف الماضي لن تتكرر، لأنّ لا قدرة للمسلحين على ذلك، والجيش يسيطر على البوابات الرئيسية للبلدة وخلفه المقاطع وأهالي عرسال.

وطمان أمهر إلى أن منطقة البقاع واللبوة محصنة، «لكننا نعمل اليوم على حماية عرسال»، نافيًا بحسب علمه أن يكون أهالي عرسال يعتدون على النازحين، إلا بعض الأشخاص الذين اعتدوا على أهالي عرسال وخطفوا المواطن سيف الدين لأسباب مادية.

وأكد أمهر أنّ أهالي عرسال يعانون اقتصادياً من النازحين النازحين، لفت إلى أن النازحين يتلقون مساعدات من عدة مصادر لأسباب إنسانية أولاً، إضافة إلى أن المخطوفين العسكريين يجب أن تصل إليهم هذه المساعدات.



(أحمد موسى)

المخيمات...بؤرة تحتضن المسلحين



لحظة إطلاق رجال حزب الله الصواريخ



الجيش على أطراف عرسال